الروائي «حمدي الجزار» في روايته الأولى «سحر أسود»:

الكاميرا هي البطل الذي يقوم بأدوار الحب والسلطة والقتل أيضا!

القاهرة ـ «القدس العربي»
ـ من محمود قرني:

تثير الرواية الأولى للكاتب الشاب «حمدي الجزار» الصادرة عن دار ميريت للنشر بعنوان «سحر أسود» عددا من الاسئلة الملحة التي تثيرها الرواية الجديدة في مصر.

وقبل الخوض في هذه التساؤلات لابد من الإشارة أولا إلى أن الرواية الأولى للجزار تدفع وحدها لارتكاب حماقات ضد الأقران، فهي بين الروايات القليلة الكاشفة لزيف الكثير من المطروح داخل هذا المشهد.

الرواية في الاجمال أغنية معذبة بالذات وبالآخرين، فهي تتمسك في كل صورها بلغة تشذ عن هذا الحياد الذي يدينه الكاتب داخل الرواية، وفي المقابل سيبدو منحازا بالمعنى الأرسطي الذي يؤطر وظيفة الفن في بدهيات الأولى مختزلة في القارئ الافتراضي الذي يلهث خلف هذا السراب الجميل والمشوق، في عالم بعضه صادق وبعضه كاذب، بعضه من صنع الطبيعة القاسية وبعضه من صنع المخيلة.

وربما لأن حمدي الجزار اكتشف صوته مبكرا في الرواية، أراد أن يؤكد على وجوده وصخبه طيلة أحداثها، وظل أقنوم الحب المتفرد بينه وبين سحره الأسود متقلبا تقلب العاشق، فهو بين الإقبال والإدبار مقيم ينتظر، أما السحر الأسود، فهو الكاميرا «الياشكا» الشهيرة في مصر، التي اشتراها له أبوه في صغره، بسبب محبته المفرطة للتصوير.

والكاميرا في الرؤية معادل لأعلى السلطات التي تتحكم في مصير الروائي ككائن وكإنسان، فهي التي تصنع أولى العلاقات حميمية في حياته عندما يبدأ أول ما يبدأ بتصوير والده، ثم العلاقة التالية الأهم في حياته بينه وبين صاحب الاستوديو الذي يقوم بتحميض الأفلام له والذي يتعامل معه باعتباره فنان المستقبل الذي يستحق سعرا خاصا دون بقية جمهوره من الناس، ثم ان الكاميرا نفسها تكون الجذر الخلفي لأول علاقة حب في حياته مع بنت الجيران، حيث يصعد البطل إلى سطح البيت بصفة دائمة لالتقاط مشاهد مختلفة للشوارع والأسطح وكذلك تفعل بنت الجيران بدعوى مراعاة حظيرة الدواجن ويحدث التلاقي وتكون الكاميرا هي همزة الاتصال.

في صورة أخرى تلعب الكاميرا دورا جديدا ودالا عندما تتحول وظيفتها من مهمة التواصل الإنساني إلى مهمة القمع كسلطة إضافية تدعم ضعف البطل في مواقف بعينها، ويتبدى ذلك عندما يطلب منه شقيقه أن يلتقط له بعض الصور، لكن لم ينس أن يوضح أن هذا هو الشقيق الأكبر وهو ضابط في الجيش ذو عقلية عسكرية آمرة، في نفس الوقت يتعامل مع البطل باعتباره خادما لابد أن يقوم على تلبية كل ما يطلب دون نقاش. لكنه في المرة الوحيدة التي يتحول فيها إلى مأمور تكون السلطة المطلقة فيها للكاميرا، ولا يتوانى البطل في هذه الحالة من أن يتعمد إذلاله رمزيا بتغيير وضع وجهه وجلسته أكثر من مرة مؤكدا له أن وجهه من النوع الذي لا يصلح للتصوير، لكنه في النهاية لا يجد إلا الامتثال.

ثم تتحول الوظيفة نفسها تحولات تبدو واعية وعي الكاتب نفسه بتجاوز المراحل المعرفية والعمرية تبعا للخبرات المختلفة والعلاقات الاجتماعية التي تبدو مؤثرة في محيط الحياة.

يبدو ذلك جلياً في المرحلة التي التحق فيها البطل في احدى القنوات التليفزيونية كمصور تلفزيوني، وهي مرحلة تشهد تحولا يبدو جماليا محضا حيث تفقد الكاميرا حميميتها في جانب مهم يمثل زاوية شديدة الخصوصية في عالم البطل فلا يأبه بما تؤديه أثناء التصوير الذي عادة ما يرسم خطاه مخرجون غير مدربين ولا يفقهون شيئا في ما يفعلون وعليه هو أن يتحول بالكاميرا من وظيفتها الجمالية المحضة إلى وظيفتها الأدائية التي تنتهي براتب ضئيل لكنه حتمي لاستمرار الحياة.

لكن هذا التحول الذي يبدو مفجعا ومحبطا بالنسبة للبطل لا يعني أن العلاقة التي تتشكل مع الكاميرا تتوارى، بل هي موضع تساؤل حزين ومستمر، حتى لتكاد الكاميرا تكون الصديق الأوحد للبطل، رغم أن الكاميرا (الياشكا) الأولى التي ارتبطت به منذ الصغر توارت في ركن بعيد لا يفتأ البطل أن يتذكره بين حين وآخر لتحل محلها الكاميرا الديجيتال، وتبدو هذه العلاقة الفردية متجسدة في تصويره الذي يقول عنه ص 122: «وضع شخص أمام عدسة كاميرا يعني لي الآن أن أقوم بعمل جاف وبليد، يعني أن تصير الكاميرا آلة طحن. ماكينة هائلة الضخامة ذات ترس حديدي كبير يدور، ويدور بسرعة الضوء فارما في وجهه كل ما يلقى إليه. آلة خرافية تسحق كل شيء دون هوادة، دون أن أنا، لم أعد سوى جزء من جسمها، معدنها وزجاجها وقلبها الأسود». لكن هذه العلاقة تبدو أشد اختلافا عندما نجد أنها السبب المباشر في أهم العلاقات النسائية في حياة البطل، حيث يرى «فاتن» للمرة الأولى عبر شاشتها عندما كان يصور إحدى الندوات في قاعة المؤتمرات، ورغم أن فاتن ليست شخصية الرواية الوحيدة ولا عقدتها المأساوية، فهناك نعمان صديق الدراسة، والتشكيلي المعتزل أيضا الذي اختار الوحدة بعد وفاة عبثية لزوجته الشابة الجميلة، وأبطال معهد السينما من الأساتذة والطلاب، إلا أن البطل الحقيقي الذي تتراوح درجات حضوره هو الكاميرا، التي تتراجع أمامها كل مفردات الحب في القاموس الشخصي للراوي البطل فهو بطول وعرض الرواية يؤكد استخفافه بمفردة الحب ويرى أنها رديف للمعنى المناهض على وجه الدقة، وكأنه يتيح الفرصة للكاميرا لكي تستأثر بكل مضامين هذه المفردة.

يقول ص 57: «يبدو لي أن أقول لأحد ما كلمة «أحبك» أنني أهينه بشكل ما. لم أعد أقولها لأحد مطلقا، على الرغم من أن أية امرأة، منذ لحظة لقائها الأول برجل سوف تنتظر، بنفاد صبر، أن تسمع منه هذه الكلمة المعجزة، وتصر على الحصول عليها بأية طريقة...». وربما لا يبدو التعليل كله مقنعا في سياق الوعي المجتمعي البائس الذي ابتذل معنى أكثر سموا، لكن الصورة الإجمالية تعبر عن حالة من حالات الرفض للاندراج في سياق القطيع الذي يرفضه الفنان، أي فنان، لذلك تبدو صورة البطل أكثر استنفارا عندما يأخذ جانبا سلبيا من قضايا المثقفين وأحاديثهم المتوترة، لأنه مشغول بالعشق، هذه العلاقة الحسية الباذخة مع فاتن المرأة الناضجة التي تجاوزت الأربعين وانفصلت عن زوجها الطبيب المعروف لتعيش حياتها كما تحب. يقول الكاتب ص 82: «لست مثل مثقفي اليوم، أتحدث عن السياسة، والفاقة والأزمة الاقتصادية والفساد.. إلخ.. الأجدر لي أن أتحدث عن الحرب والقتل والعنف والموت لأنني لا أتحدث سوى عن العشق. العشق فحسب».

الرواية في مجملها تؤكد على رؤية جديدة في الكتابة الروائية لا سيما في ملمحها الحسي الذي بدأ واستمر مع «كاميرا» تبدو البطل الحقيقي للرواية، أو عبر العلاقة بفاتن المرأة الجميلة الناضجة. وملمح الحسية في عمومه يتجرد من عناصر الولع والتشبب التي عرفها النموذج الروائي الرومانسي والواقعي معا، لذلك تبدو لغة الرواية على قوتها التعبيرية، ذات لغة حسية مفرطة، تؤكد على مفهوم تعين الأشياء غير المتعينة في محاولة مستمرة لتجسيدها بما في ذلك المشاعر، لذلك يبدو البطل في غير حاجة حقيقية للتشبث بمفردة الحب لأنها يمارس محتواه الجوهري في السرير، لذلك لا حاجة هناك لتحويله إلى حلم غير قابل للتحقق.

ويبدو حمدي الجزار في روايته الأولى مغاير إلى حد بعيد لأقرانه من الروائيين الجدد، رغم أنه اعتمد في روايته الأولى شأنهم ـ جميعا ـ قطاعا عريضا من سيرته الذاتية، ومناط الاختلاف في الرواية هو فيض التساؤلات التي تثيرها الرواية الجديدة التي أشرنا إليها في البداية.

والفارق الجوهري ـ كما أراه وكما يراه الكاتب عبر روايته ـ هو أن حمدي الجزار يثق بالكتابة أكثر من غيره، يؤمن بقدرتها على خوض معركة الإنسان، بل ربما كان يثق في إمكان تحقيقها الانتصارات، من هنا بدا منحازا بوعي كامل ومدروس، بدا صاحب لغة تعبيرية فياضة ودافقة وعاشقة، كشف فضائح الركاكة السردية لدى الكثير من أقرانه، كذلك يبدو مستعدا لمجابهة أبطاله من خلال الوعي بأدوارهم وهو أهم هذه الملامح، فالأبطال لا يتحركون بالقدرية الساذجة المتواترة في رواية التفاصيل اليومية، بل ثمة أدوار أوسع وأعمق يلقيها الكاتب على كاهل أبطاله، وهو ما يفسر معنى إيمانه بالكتابة، فالعفوية والحياد والتلقائية كلها معان تؤكد على مستويات من الوعي الضدي لما هو سائد، لكن الكارثة الحقيقية أن كثيرين فهموا ذلك على انه تحلل من كل مرجعية مهما كانت نسبيتها.

سيبقى القول أن رواية بهذه الحميمة والتدفق لتستحق تحية حقيقية وإشادة ضرورية بموهبة راويها حمدي الجزار، لكنني سأكون بين أشد المحزونين إذا حدث وكانت هذه أولى رواياته وآخرها أيضا، مثل كثيرين من أقران المرحلة.

الروائية الجزائرية الشابة سارة حيدر:

أصنف كتاباتي ضمن الأدب الهدام!

الجزائر ـ «القدس العربي»

سارة حيدر من روائيات الجيل الجديد في الجزائر، أصدرت منذ سنة تقريبا رواية «زنادقة» عن «منشورات الاختلاف» والتي نالت على اثرها جائزة «أبوليوس» لأول رواية من قبل المكتبة الوطنية الجزائرية و لاقى عملها ترحيبا كبيرا من قبل القراء و النقاد على السواء رغم صغر سنها، وهي تحضر نفسها هذه الأيام لاصدار عملها الثاني «لعاب المحبرة» في نشر مشترك بين الدار العربية للعلوم بلبنان ومنشورات الاختلاف بالجزائر. هنا لقاء قصير لرصد اهتماماتها وانشغالاتها الأدبية.

سارة حيدر (القدس العربي)

■ لماذا تعتقدين أن الكتابة مهمة في حياتك، والعكس صحيح أيضا؟

■ لقد أصبت: العكس هو الصحيح ! ولكن ليس الى ذلك الحد الذي تصبح فيه الكتابة وسيلة للتسلية أو تمضية الوقت.. الأمر معقد نوعا ما؛ ذلك أنني عندما أباشر رواية ما، ينتابني شعور مكثف بعظمة هذه المهمة، بجمالها ومتعتها؛ وأحس بحاجة ماسة لأن أفعل كل ما بوسعي كي أجعل من روايتي عملا يستحق الاحترام..

لكني لا أذهب في شهوتي هذه الى درجة القول بأن «الكتابة هي الحياة».. ذلك في نظري مبالغة لا طائل منها، بل تكون أحيانا السبب المباشر لفشلنا في الحياة.. من السهل على كاتب أن يكرس نفسه كليا للكتابة كي يبرر بها فيما بعد فشله في الحياة، وعندئذ تصبح الكتابة ملجأ لا أكثر! بالنسبة لي، الكتابة، تماما كالمال أو الأكل أو الدراسة، مجرد وسيلة نصل بها الى هدف معين.. وهدفي منها هو أولا: ارضاء للغرور (الغرور الناجم عن ادراك صائب لقيمتي الذاتية وليس ذلك الادراك المتضخم أو الوهمي)، وثانيا: جعل القراء يعيدون النظر في حياتهم وقناعاتهم، و ـ لم لا (تحطيم هذه الأخيرة ذلك أنني من دعاة: «القناعة الوحيدة التي يجب أن تمتلكها هي ألا تمتلك أية قناعة») وتخريب حياتهم! علي الاعتراف أنني أميل الى تصنيف كتاباتي ضمن الأدب الهدام!

■ كنت رافضة لفكرة النشر من أساسها. لماذا غيرت وجهة نظرك؟

■ رفضت فكرة النشر لأنني ألقيت نظرة سريعة على ما ينشر في وسطنا الأدبي فوجدت أنه ليس بالضرورة الأفضل، وغالبا ما يكون رديئا أو متماديا في الرداءة.. وتعززت قناعتي هذه عندما أتيحت لي فرصة الاطلاع على كتابات بعض الأصدقاء التي يرفضون نشرها، وقارنتها مع ما يباع في «السوق الجزائرية للكتاب» فصدمني الفرق!

أنا لا ألح طبعا الى أن امتناعي عن النشر كان ثمرة لاقتناعي بأن كتاباتي أعظم وأجود مما يكتب.. لكنني خشيت أن تُدمج أعمالي ـ ان نشرتها في سياق معين أوصم به الى الأبد.. وان كنت قد نشرت «زنادقة» فهذا لا يعني أنني غيرت وجهة نظري ـ كما تفضلت ـ بل طريقة التعبير عنها فحسب!

■ تحسين ميشو رغم غرابة عوالمه وتعقد كتاباته. لماذا يا ترى؟

■ في الحقيقة، لا أجد تفسيرا لهذا الانجذاب الرهيب الذي يربطني بميشو.. ليس انجذابا فحسب بل رابطة عقائدية كالتي تجمع بين أفراد حلقة دينية ما في الهند أو الصين.. الغريب في الأمر أنني لا أفهم كل ما يكتبه لكني أشعر به، لا أفك كل رموزه لكني أتلقفها غريزيا ودون تفسير معقول.. ان ما يربطني بميشو ـ تماما مثل ما يربطني بالتنبي ـ يفلت من قبضة الكلمات.

■ لماذا تقرئين بروست هذه الأيام؟

■ في بداية الأمر، دفعني اليه الفضول لا أكثر. أردت أن أعرف من هذا الذي يكتب عشرين صفحة لوصف قبلة وأربعين صفحة لوصف غرفة نوم.. بدأت بـ «حب سوان» لكني عدلت عنه بسرعة لأسباب معروفة لدى الجميع.. أما الآن فأنا أقرأ «ألبرتين الميتة» الذي نصحني به صديق لي مضيفا هذه العبارة التي أضرمت فضولي: «عندما تقرئينه، سوف تموتين دون ندم»! أنا الآن في الصفحة المئة وعكس «سوان»، أشعر بلذة لا وصف لها.

■ هل تعتقدين أن «لعاب المحبرة» تمثل لحظة مهمة في تجربتك بالمقارنة مع «زنادقة»؟

■ لا وجه للمقارنة بين «لعاب المحبرة» و«زنادقة».. زنادقة بالنسبة لي مثل الحب الأول (الذي يكون عادة في فترة المراهقة) بالنسبة للرجل.. ولا يخفاك أن أي رجل، مهما حاول أن يجعل من هذا الحب تجربة مميزة ورائعة، لا يستطيع الا أن يسخر منه! هذا هو الحال مع زنادقة.. أما «لعاب المحبرة»، فتجربة جديدة، ناضجة وواثقة من نفسها.. رواية حاولت فيها أن أضع مسألة الكتابة في قفص الاتهام، أن ألعب في آن واحد دور النائب العام ومحامي الدفاع. أما الحكم النهائي فأتركه لهيئة المحلفين (القراء).. بالرغم من أنني قد حكمت عليها مسبقا: السجن المؤبد مع الأشغال الشاقة!

■ في روايتك، تشغلك قضايا عربية على الرغم من أنك غير مبالية على المستوى الشخصي بالالتزام وما شابه ذلك.

■ يبدو أنك لم تلاحظ أن بطل الرواية (مثلي تماما) رجل لا منتم، يتفرج على مشاهد المهزلة العربية بسخرية ولامبالاة صادقتين.. وقد تعمدت أن أجعل بعض الشخصيات على النقيض من ذلك: ملتزمة برابطة العروبة وقومية الى درجة مَرَضِيَّة.. فعلت ذلك لسببين: أولهما أن أتفادى أخطائي السابقة في «زنادقة» (التطرف والتمسك الصبياني بصحة رأينا)، وثانيهما أن أظهر بطريقة غير مباشرة سخافة هذا الانتماء وعقمه على الصعيد العملي.. والمضحك في الأمر أنني اكتشفت في النهاية أنها طريق ملتوية للوصول الى النتيجة نفسها: أنا على حق!

■ كيف ربطت بين الموسيقى والأدب في «لعاب المحبرة»؟

■ الموسيقى هي أصوات تفكر والأدب هو فكر يعبر عن نفسه بلغة تشبه الى حد بعيد النوتات الموسيقية.. انها علاقة ترابط كما ترى.. أما بالنسبة لي فقد اكتشفت فجأة أنني لا أستطيع أن أكتب دون الاستماع الى بيتهوفن أو ألبينوني أو ريمسكي، وأنني عندما أنصت للموسيقى في جوف الليل، عندما يجافيني النوم، أقفز ملسوعة من السرير وأسارع لجهاز الكمبيوتر كي أكتب ما ألهمتني اياه هذه «الأصوات المفكرة».. لا، ليست علاقة ترابطية بل هي علاقة حب.

■ هل تعتقدين أنك تكتبين خارج ما تكتبه النساء في بلادنا أم هناك خط مشترك؟

■ لا أحب هذه التصنيفات الظالمة: «الأدب النسوي»، «أدب العشرية السوداء»، أدب الجيل الجديد»...الخ.

أنا أكتب بحرية، دون أن ألقي بالا لما يكتبه الآخرون، دون أن أحاول التشبه بهذا أو ذاك ودون أن أبذل أي جهد للاختلاف عنهم.. لكنني، عندما أعيد قراءة ما كتبت، أجده يصنف نفسه بنفسه في خانة: «أدب سارة حيدر».

التقاها: بشير مفتي

إصدارات جديدة

اختتام معرض الدار البيضاء للكتاب

الدار البيضاء ـ «القدس العربي»
ـ من بشرى الحضيكي:

اختتمت الدورة الثانية عشرة للمعرض الدولي للكتاب التي احتضنتها الدار البيضاء في الفترة ما بين10 و19 شباط/ فبراير الجاري، تحت شعار «المغرب العربي بعد خمسين سنة من الاستقلال» فعالياتها بتأكيد عدد من المشاركين على نجاح هذه التظاهرة في جعل الثقافة جسرا نحو الوحدة المغاربية.

وحرص منظمو المعرض على التأكيد على ان المراهنة على الكتاب كأحد روافد المعرفة من أجل بناء مجتمع متكامل ومتماسك ليس رهانا مغربيا صرفا بل إنه تجاوز هذا الحيز الجغرافي ليصير هما مشتركا بين بلدان المغرب الكبير التي حرصت على أن تكون لها مشاركة متميزة في هذه الدورة.

وكان المغرب الكبير حاضرا بأدبائه وناشريه وتراثه الثقافي والفكري ونفائس إنتاجاته في صورة جعلت من المعرض «مهرجانا» فكريا بإيقاعات وحدوية.

فليبيا شاركت برواق حظي باهتمام الزوار بفضل منشوراته المتنوعة وخاصة منها تلك التي تعرف بالإبداع الليبي وأعلامه البارزين حيث تضمن هذا الرواق ما يزيد عن 300 كتاب صادر عن دور نشر عمومية، وعدد مهم من الإنتاجات الأدبية والعلمية الصادرة بالخصوص عن دار الرواد (خاصة) والمركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر (عمومية).

فيما اعتبرت المشاركة الموريتانية ضمن فعاليات المعرض «الأكثر تميزا» لوزارة الثقافة الموريتانية مقارنة مع الدورات السابقة من خلال مشاركة أربع دور نشر موريتانية بحوالي 150 عنوانا متخصصة أساسا في الفقه المالكي والقرآن وشرحه والأدب بمختلف فروعه، بالإضافة إلى كتب حول موريتانيا.

وحظيت المشاركة الجزائرية باهتمام خاص من قبل زوار المعرض وكافة المهتمين بالشأن الثقافي فقد كانت اثنتا عشرة دار نشر جزائرية حاضرة وقدمت لزوراها أكثر من 150 عنوانا من مختلف الأجناس الأدبية، من رواية وشعر وكتب للأطفال وكتب تاريخية وأمازيغية تميزت بجودتها وتنوعها من حيث المواضيع التي تتطرق إليها واللغات المكتوبة بها.

وبدورها كانت تونس ممثلة بعشرين دارا للنشر موزعة بين مؤسسات حكومية وجامعية وخواص مقدمة حوالي 620 عنوانا في مختلف مجالات المعرفة من تاريخ وقانون واقتصاد بالإضافة إلى كتب أكاديمية وأخرى ذات طابع علمي تقني محض، فالدورة حينما جعلت من المغرب الكبير شعارا لها فإنها راهنت على أن تكون تجمعا مغاربيا يجد فيه المثقفون والناشرون ومهنيو الكتاب فضاء رحبا لتبادل المعارف والتجارب في أفق أن تحقق البلدان المغاربية بواسطة الفكر والثقافة ما عجزت عن تحقيقه بواسطة السياسة والاقتصاد.

فعلاوة على الندوات العديدة التي قام بتنشيطها أدباء ونقاد مغاربيون تناولت إشكاليات الكتابة والرواية المغاربية والقضايا ذات الاهتمام المشترك، كان المعرض فرصة بالنسبة للناشرين للنظر في مختلف القضايا المرتبطة بتوزيع الكتاب وتداوله بين بلدان المغرب الكبير حيث تم عقد الدورة السنوية الأولى للمجلس الإداري لاتحاد الناشرين المغاربيين والتي تم خلالها استعراض أنشطة الهيئة خلال السنة الفارطة، والتحضير لعقد الدورة المقبلة بالجزائر.

وقال تقرير لوكالة الانباء المغربية ان المعرض، الذي استقبل أزيد من خمسين ناشرا مغاربيا، سعى إلى خلق فضاء موحد يظهر مختلف أبعاد الهوية المغاربية بعد أن حالت الحدود الجغرافية دون صهرها في قالب واحد.

والهوية بعمقها التاريخي وامتدادها الإنساني شكلت محور نقاشات عديدة ضمن فعاليات الدورة حيث دعا المشاركون في مختلف التظاهرات إلى ضرورة تعزيز الهوية المغاربية وتخليصها من التأثير السلبي للإكراهات السياسية.

وحفاظا على هذه الهوية وعلى الإرث الثقافي للبلدان المغاربية كانت المبادرة إلى تكريم رجالات ميزوا بإبداعهم ونضالهم المسيرة الفكرية والوطنية لبلدان المغرب الكبير قاطبة . فقد تم تكريم الأديب التونسي محمود المسعدي، وهو أحد أعلام الأدب العربي، ممن تميزت أعمالهم بقيمة عالية والمفكر عبد الله إبراهيم بما تمثله هذه الشخصية من التزام في الممارسة السياسية والعمل الثقافي والناقد الجزائري جمال الدين بن الشيخ.

شخصيات أصبغت ....ظلالها التاريخية على المعرض، ومنحت أسماءها لقاعات احتضنت طيلة عشرة أيام مستديرة وتقديم وتوقيع كتب جديدة، فكان الحوار المغاربي، في ظل هؤلاء العمالقة، حول آفاق مستقبل المغرب الكبير والإشكالات المشتركة بين بلدانه وعن طموحات الشعوب بالانعتاق من الهم القطري نحو فضاءات العمل المشترك من أجل الانخراط في مجتمع العولمة.

ورغم أن شعار الدورة الثانية عشرة من المعرض الدولي للكتاب يوحي بأنها ستكون محطة للتقييم وإطلالة تاريخية على الإخفاقات والنجاحات المحصلة في مسيرة الاتحاد المغاربي إلا أنها تمكنت من أن تتجاوز الحدود الضيقة للتقييم لتنطلق نحو عوالم أرحب، تتأسس وفق رؤية مستقبلية تؤمن بحق أن حلم الوحدة لا تنقصه سوى إرادة التحرر من محاذير السياسة والقدرة على تجاوز الأنانية القطرية.

وقال رشيد جبوج مدير المعرض ان التكلفة التي تحملتها وزارة الثقافة بلغت 5 ملايين درهم (550 الف دولار) دون باقي المصاريف التي يتكلف بها بعض الشركاء والممولون.

واضاف جبوج ان وزارة الثقافة هي التي تحدد موقع كل رواق حسب نوعية دار النشر ويقدر ثمن الرواق ب600 درهم للمتر المربع واعتبر بعض اصحاب دور النشر المشاركين في المعرض ان ثمن الرواق مرتفع.

وقال رامز المحتسب صاحب دار الرائد العلمية للنشر والتوزيع /الاردن ان سعر الرواق باهظ ودعا منظمي المعرض الى دعم الكتاب لانه يتحمل كل المصاريف من اجرة الرواق الى تكاليف السفر وبالتالي فهو يصل الى الجمهور المغربي بثمن مرتفع. وقال المحتسب للقدس العربي ان الكتاب الاردني يشهد اقبالا من القراء المغاربة خاصة كتب الثقافة العامة والكتب الدينية، وللاشارة تعد هذه المشاركة هي الثانية من نوعها للكتاب الاردني في معرض الدار البيضاء كما اشاد صاحب دار الرائد بادارة المعرض التي وصفها بكونها ناجحة في التنظيم.

و بينما اعتبر البعض ان ادارة المعرض ناجحة فالبعض الاخر يرى العكس كأحمد القباج مسؤول بدار النشر فضاء الفن والثقافة/المغرب الذي اوضح ان ادارة المعرض لم تتوفق في تحديد موقع كل جناح، مشيرا الى ان الرواق المخصص لدار النشر التي يشرف عليها هو رواق داخلي وبالتالي فاقبال الجمهور عليه ضعيف وبدورها خصصت وزارة الثقافة رواقا خاصا بها ادرجت فيه اخر الاصدارات من الاعمال الكاملة لبعض الكتاب المغاربة كادريس الخوري ومحمد عز الدين التازي وغيرهم، واغلب هذه الاصدارات تدعمها الوزارة لتشجيع الانتاج المغربي والرقي بمكانة الكتاب ومن بين دور النشر المغربية التي شاركت في المعرض هناك دار احياء العلوم ودار توبقال ودار الشعراوي ودار اديف للنشر وغيرها وبعض دور النشر العربية والاجنبية كهاشيط ليفر ودار امريكا والدار الذهبية من مصر ودار الهدى من الجزائر ودار الجيل من تونس ودار الرواد من ليبيا علاوة على مشاركة دول المغرب العربي خلال هذه الدورة.

«نظام الزمان العربي: دراسة في التاريخيات العربية ـ الاسلامية»

لندن ـ «القدس العربي»:

صدر حديثاً عن مركز دراسات الوحدة العربية كتاب «نظام الزمان العربي: دراسة في التاريخيات العربية ـ الاسلامية» للدكتور رضوان سليم. «ما هي القيمة المعرفية لهذه الدراسة؟ وما هو تأثيرها في تكوين وعينا التاريخي كمعاصرين؟

تختلف مقاربتنا التاريخيات العربية ـ الاسلامية عن مقاربة «تاريخ التاريخ» التي تسعى إلى بلورة مفهوم «التاريخ» من خلال تطور الفكرة التاريخية، كما تختلف عن مقاربة فلسفة التاريخ التي تضفي المعنى على سير التاريخ بواسطة مفاهيم كلية، تأملية وافتراضية.

تنطلق مقاربتنا من تصوّر معرفي جديد لحقل «الخبر»، إذ نعتبره بنية معرفية كاملة، وأحد الأركان الرئيسية للمعرفة الاسلامية. هكذا، نشأ مفهوم التاريخ ـ في نظرنا ـ من انفصاله عن بنية الخبر واتّصاله بمفهوم الزمن. أي أنه لم يتكوّن من تطوّر أنماط التدوين التاريخي أو من نمو الفكرة التاريخية، بل تأسّس بفضل القطيعة المعرفية التي أحدثها في حقل «الخبر». كما تعمد مقاربتنا إلى استخراج المفاهيم من الممارسة المعرفية للمؤرخ عوض فرض مفاهيم تأملية على الصيرورة التاريخية ذاتها.

تلك هي القيمة المعرفية للمقاربة الجديدة للتاريخيات العربية ـ الاسلامية.. أما بخصوص تأثيرها في تكوين وعينا التاريخي كمعاصرين فنعتقد أن المشكل الرئيسي الذي واجه المؤرّخ العربي لم يكن مشكل التاريخ، بل مشكل الزمان، وأنه المشكل نفسه الذي ما زال الوعي العربي يحياه اليوم، أي الوعي التاريخي بالمعاصرة».

بانتظار نهوض الغزالة

زياد خداش*

■ امشي في شارع ما، ذاهبا كمسرنم الى احتمال نهوض غزالة ما في غابة افريقية بعيدة وعميقة من غفوتها الابدية، غزالة ماتت برمح في بطنها اطلقه عليها صياد جائع مات بعد ايام هو الاخر برمح قبيلة اخرى معادية لقبيلته، من يدلني على طريق مختصر للوصول الى ذلك النهوض الخرافي المحتم ؟من يشير لي الى لحظة ندم الصياد الاخيرة او الى حيرته وسخريته من نفسه؟

من يسمعني ابتسامة الغزالة الميتة في قبرها المكشوف؟

الصورة بالابيض والاسود في الطريق، كأنها هي التي تعثرت بقدمي، هل كانت تبحث عني؟ ام انا الذي كنت ابحث عنها؟

ساعرّفكم على نفسي:

اربعيني وحيد جدا الى درجة الزحام، ينهض في الصباح الباكر جدا، ويعيش على امل صغير: هو ان يفاجأ بالغزالة تنهض من رقدتها النهائية، تتأمل ثقب بطنها الملتئم وتقضم تفاحة، وبالصياد المقتول وهو يعلن في محاضرة له في جامعة هارفرد عن زوال ظاهرة القبائلية من العالم، الصورة بالابيض والاسود في الطريق، انحني الان لالتقطها، هل ترونني؟ انا اراكم.

امراة في الاربعين، شعر اسود هائج ومتلاطم يشبه قرية حدودية متمردة تتعدى على حدود دول اخرى مجاورة غير معترفة بالخط الازرق بين الدول، وتنشب بسببه حروب الجمال المبهرة، العيون مثل فلسطين تماما، ندية وصافية ومعذبة وهاربة وخالدة

العنق يكاد يسيل على يدي، كأنه يتوق الى الخروج عن حدود الصورة دافعا المصور الابله ومحطما زجاج الاستوديو ولاطما يدي،

يدي اللتين تمسكان بالحدود مثل حارس متجعد ايل للتقاعد.

من هي هذه المرأة؟

وكيف سقطت صورتها في الطريق؟

ولماذا هي بالاسود والابيض؟

حاولت ان اشرك طلابي في اسئلتي تدريبا لهم على هتك ستائر المخيلة والمضي قدما نحو اقصى الاشياء، ومريحا نفسي من حكايات خرافية واوهام أقتات عليها وحدي ليل نهار.

رفض طلابي تصديق امر هذه الصورة واتهموني بالخداع واحضار صورة اختي او خالتي او زوجتي حسب ما قالوا.

اصدقائي سخروا من اهتمامي المبالغ به بالصورة

قال لي احدهم: بالتاكيد هي مومس خرجت مسرعة من بيت احدهم وسقطت صورتها. كبرت مساحة الصورة والصقتها على طول وعرض جدار غرفتي فامتلأ هواء غرفتي. بتنهدات خافتة، استغربت الامر في البداية، لكني عرفت انها تنهدات صاحبة الصورة. فجأة سمعت كائنا حزينا يتكلم في ظلام الغرفة. ما الذي جعلك تهتم بي كل هذا الاهتمام؟ اقدام الناس كانت تمر عني وتركلني، الكلاب كانت تتشمم وجهي في الصورة وتهرب بعيدا؟ لأني مجرد صورة.

الاطفال كانوا يتقاذفونني بين ايديهم الاصغيرة الرائعة وكنت سعيدة ولكنهم بعد ان يضجروا كانوا يتصايحون على بعضهم البعض: هذه امك هذه اختك.

فأكون سبب شجار عنيف بين عناصر القبائل التي ينتمي اليها الاطفال، يسقط فيه دم ودموع، فاحزن،

احزن جدا واواصل ضياعي وتخبطي بين الاتربة وعجلات السيارات والريح واوراق الشجر

وايدي الصغار واحذية الكبار

وخجل عيون النساء ورعبهن

انا مجرد صورة لماذا يخافون مني

مرة من المرات التقطتني يد امرأة مسرعة تأملتني قليلا ثم القت بي في حاوية

انا صورة من كرتون وورق

بالابيض والاسود

لا اؤذي احدا

لماذا يخافونني؟

ما زلت انتظر نهوض الغزالة، ومحاضرة الصياد

---

* كاتب من فلسطين
zkhadash@yahoo.com